عادل الأسطل | نشر في ٦ يونيو ٢٠١٥,

واشنطن.. تحوّلات سياسيّة غير طاهرة !

ترتبط إسرائيل والولايات المتحدة بعلاقات استراتيجية (فريدة) لم يشهد الكون مثيلاً لها، باعتبارها تشكل قيم وأخلاق و(ديانة) ومعتقدات مشتركة ومركّبة في آنٍ معاً، وهي تختلف عن العلاقات اليوميّة، والتي يمكن أن تكون مُغبطة تارةً لانسجامها حول سياسة ما، أو أقل من جيدّة تارةً أخرى، تبعاً لتمردات إسرائيلية أو ناتجة عن رغبة أمريكية في اتباع سياسة أو إبداء رأي بمعزل عن إسرائيل.

وإذا ما رجعنا إلى تاريخ العلاقات الاستراتيجية، نجدها على حرارة متصاعدة على مدار الوقت، وسواء باتجاه الحزب الجمهوري، أو الحزب الديمقراطي، أو على مستوى الرؤساء بشكلٍ عام.

لكننا إذا قمنا بتفحّص بعضاً من العلاقات اليوميّة، نجدها تحتوي على مُنغّصات لا تُحصى، وسواء التي تتم نتيجة لتصادم السياسات، أو نتيجة لاختلافات في وجهات النظر، كما حدث بشأن السياسة التي اتبعتها واشنطن منذ بداية القرن الحالي، وخاصة بالنسبة للقضيتين الأهم، القضية الفلسطينية، والقضيّة النوويّة الإيرانيّة، إضافة إلى ما يتعلق بالمنغّصات الأمنيّة والجاسوسيّة، والتي كانت تقوم بها إسرائيل، وتعتبرها واشنطن بأنها تمس الأمن القومي الأمريكي.

كان اللافت، هو مقابلة إسرائيلُ انتقادات الولايات المتحدة وملاحظاتها، بالسبّ والشتم، والتعهّد بإسقاط من يتعمّد المس بسياستها، أو يميل إلى الانحراف عنها، ولعلّنا نذكّر جيّداً -على سبيل المثال- كيف سبّ رئيس الوزراء الإسرائيلي "إسحق شامير" أثناء حكمه وحتى أوائل التسعينات، الرئيس الأمريكي "جورج بوش الأب"؟ وكيف سمح لوزرائه أيضاً بشتمه ووصفه بالكذب والنفاق ومعاداة الساميّة؟ وشاهدنا أيضاً كيف تولّى اللّوبي الصهيوني فيما بعد، مهمّة إسقاطه، لصالح المرشح الرئاسي "بيل

كلينتون"؟ نتيجة إقدامه على انتقاد السياسة الإسرائيلية، من خلال وقفه ضمانات القروض الموجّهة لها، بسبب نيّة استغلالها في إنشاء المستوطنات داخل الأراضي الفلسطينية.

منذ تولّي الرئيس الأمريكي "باراك أوباما" زمام الحكم، بدت العلاقات فاترة أكثر فأكثر بين الجانبين، وقد وصلت ذروتها منذ أن تبادل مع رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتانياهو" مهمّة الإطاحة بالآخر، خلال الانتخابات الأمريكية 2008- 2012، والإسرائيلية 2009، 2013، 2015، وكان لعزم "نتانياهو" على إلقاء خطاب في الكونغرس الأمريكي في مارس/آذار الماضي، دون التنسيق مع الإدارة الأمريكيّة، قد أدّى إلى هزّة غير مسبوقة في تاريخ العلاقات مع البيت الأبيض على الأقل.

كما أدّى تنكّره لمبدأ حل الدولتين عشية الانتخابات الإسرائيليّة الأخيرة، ليس إلى إفقاد "أوباما" الثقة بشأن إمكانية العثور على وسيلة، تؤدّي إلى استئناف مساعي السلام، بل إلى التهديد بأن واشنطن ستعيد النظر في بعض جوانب علاقتها بإسرائيل، إضافةً إلى امتناعه عن عقد لقاءكما تقضي علاقة البلدين، حتى وصل بالبعض إلى وصف الوضع بـ (الأسوأ) منذ مولد الدولة، وذلك بناءً على أن عشرات السنين مضت، ولم تكن في وضع تشهد خلاله قطيعة مماثلة.

ربما لم يهتمّ كثيراً "نتانياهو" بكل ما سبق، لكن ما أغاظه بجديّة، هي تصريحات "أوباما"، المتتالية والتي تعمّد خلالها إظهار اليأس الكبير، بشأن حصول أيّ حلول للقضية الفلسطينية، وإبدائه تقديرات تُشير إلى صعوبة الوضع الحالي باتجاه تحقيق سلام في إطار (حل الدولتين)، إضافةً إلى ذهابه نحو أن إدارته، لا يمكنها خلق مبادرات سياسيّة جديدة، حيث اعتبر "نتانياهو" هذه التصريحات، بأنها تحمل نوايا خبيثة، مهمّتها كشف حقيقة السياسة الإسرائيلية، وإحباط مخططاتها.

وبرغم اهتمام واشنطن أمام العرب والفلسطينيين بخاصة، بإظهار أنها بصدد تحوّلات في مواقفها، وأن إسرائيل وحدها هي التي باتت تتلقى صفعاتها، إلا أن من غير اللائق أخذها بشكلٍ جادّ، باعتبارها (غير طاهرة)، وإذا كانت تحمل أطيافاً إيجابيّة، فهي لا تتعدى الجوانب اليوميّة، والتي تكفل استمالة الشارع العربي ككل، إلى ناحية الإيمان، بأن هناك تحوّلات حقيقيّة، وإن لخدمة هذه المرحلة، باعتبارها زاوية حاشرة يتوجب النجاة منها، فبعض الأجواء والمناخات التي يُشاع خلالها، بأنها تحوّلات مهمّة، فإنها وإن قادت إلى شيء، فسيكون هذا الشيء هو الوهم.

إن الخلاف دائماً يُعتبر نقطة صغيرة بالنسبة إلى قائمة الاستراتيجية الطويلة، التي لا تزال الولايات المتحدة تلتزم بها منذ عهد الرئيس الأمريكي "هاري ترومان" وحتى رئاسة "أوباما"، الذي هو نفسه اعتاد، أن يُردف ملاحظاته وانتقاداته باتجاه إسرائيل، باستعداده إلى دفع أثمان باهظة، وعلى رأسها التزامه بأمنها، بل وبتفوّقها النوعي على دول المنطقة والمُعادية لها أيضاً.

حتى وإن كان ألمح مؤخّراً، بأن إدارته ستجد صعوبة في الاستمرار بالدفاع عن إسرائيل داخل الأمم المتحدة، أو بصعوبة نشر حق النقض (الفيتو) بشأن أي مبادرات أو ضد أي قرارات قد تؤثّر على شرعيّتها، لكن باستطاعتنا التأكيد، على أن تلك الإدارة، لن تجد صعوبة تُذكر، بشأن مواجهتها تلك القرارات، وخاصّة التي تهدف إلى نزع شرعيّتها، بسبب وقوعها ضمن العلاقة الاستراتيجية المقصودة، والتي تقوم على، ليس في الحفاظ على بقائها على الخارطة الجغرافيّة كـ (دولة إسرائيلية أو يهودية) وحسب، بل لأنها تعني حرصها اللانهائي، على نموّها وتطوّرها جنباً إلى جنب مع الولايات المتحدة نفسها.

وتوضيحاً لما سبق، فإن صنّاع القرار في واشنطن ملتزمون بالوعي، بأن الهجمات الدوليّة التي تُشنّ ضد الشرعيّة الإسرائيليّة، هي جادّة ومتعاظمة، وسواء كانت بطريق المقاطعة الاقتصاديّة والعلميّة، أو بالاعترافات المتتالية بالدولة الفلسطينية، وهذا يعني لديهم بأنهم سيقومون بتقويضها، وحتى في ظل عدم التزام إسرائيل بحل الدولتين.

رابط المقال: https://www.noonpost.com/7011/